جدل العقل والقلب عند ابن تيمية
(دراسة تحليلية نقدية مقارنة)

الباحث/كرم عبد الصادق محمد الدسوقي

لدرجة (الماجستير) في الفلسفة الإسلامية قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة المنوفية

إشراف

الدكتور/ ياسر البتانوني

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

ملخص البحث

يتعرض هذا البحث بالدراسة حول آراء بعض المتكلمين والفلاسفة حول إمكانية المعرفة ودور العقل والقلب للوصول إلى معرفة صائبة.

ويهدف هذا البحث إلى عرض آراء بعض المتكلمين والفلاسفة حول دور العقل والقلب في المعرفة.

ويتألف هذا البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: وفيه تحدثنا عن بعض المذاهب والاتجاهات حول مفهوم نظرية المعرفة.

المبحث الثاني: وفيه تناولنا دور العقل في المعرفة مع عرض إمكانية المعرفة العقلية.

المبحث الثالث: وفيه تناولنا أيضا دور القلب في المعرفة مع عرض دور القلب في تحصيل المعرفة

مقدمة:

لقد تعددت الآراء وتباينت حول تعريف المعرفة مع الوصول إلى إمكانية تعريف المعرفة وذلك بالوصول إلى الفصل بين العلم والمعرفة وأن المعرفة نطاق واسع يكمن في داخلها العلم، كما تعددت وتباينت المذاهب المثالية والواقعية والبرجماتية حول مصادر المعرفة وكان من أهم ما تميز به التصور الإسلامي أنه كان شاملا لكثير ما ذهبت إليه هذه المذاهب.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تأتي هذه الدراسة محاولة لإظهار جدل العقل والقلب، في نظرية المعرفة عند ابن تيمية للوصول للحقيقة في مختلف المجالات.

ويمكن إبراز ذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:-

١- ما هو مفهوم نظرية المعرفة عند بعض المذاهب والاتجاهات؟

٢- ما هو دور العقل والقلب في المعرفة عند ابن تيمية؟

٣- ما هي إمكانية المعرفة العقلية؟

٤- ما هو دور القلب في المعرفة عند ابن تيمية؟

أهداف الدراسة وأهميتها

١- محاولة إظهار جدل العقل والقلب عند ابن تيمية.

٢- توضيح المنهج المعرفي عند ابن تيمية.

٣- تأكيد ابن تيمية على صلة العقل بالقلب ووجود علاقة قوية بينهما.

٤- كما تهدف الدراسة لتوضيح قلة من تناولوا هذا الموضوع.

منهج الدراسة

سأعتمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي إذ سأقوم بتحليل وتفنيد أراء ابن تيمية في ما يخص نظرية جدل العقل والقلب في نظرية المعرفة.

نتائج البحث

وبعد هذا البحث لا راء بعض الاتجاهات حول المعرفة ودور العقل والقلب في الوصول إلى المعرفة نستطيع أن نخلص إلى الآتي:

١- أن مفهوم نظرية المعرفة يهدف إلى الوصول إلى تحقيق الوعي الصحيح الذي به يصل الإنسان إلى معرفة حقائق الأشياء، فالمراد بمعرفة الشيء أي الوصول إلى مرتبه اليقين به، ودحض الشكوك المتعلقة به، فيبني الإنسان نموذج معرفي عن طريق مصدر.

٢- أن دور العقل عند ابن تيمية ومن خلال كلامه، يتضح لنا أن العقل شرط للوصول إلى المعرفة اليقينية، كما أن العقل شرط في صلاح الأعمال وكمالها، وبذلك باتصاله بنور الوحي الذي يتطلب سلامة العقل.

٣- إمكانية تعريف المعرفة، وذلك لأن المعرفة نطاق واسع يكمن في داخلها العلم، إذ يصبح العلم فرعًا من فروع المعرفة، كما يمكن تعريف المعرفة لعلمنا أن العلم أخص من المعرفة، فالمعرفة تشمل العمليات العلمية وغير العلمية.

٤- انحياز ابن تيمية إلى أهمية ودور القلب في حصول المعرفة، فيرى أن دور القلب في الوصول إلى تحصيل المعرفة أن الله خلق القلب بفطرته يقبل العلم أو المعرفة، لكن شريطة أن الإنسان يحمل قدرا من الاستعدادات، بمعنى أن الإنسان هو الذي يرغب في الوصول إلى المعرفة.

المبحث الأول

مفهوم نظرية المعرفة عند المسلمين وابن تيمية

تعد نظرية المعرفة من أهم النظريات التي شغلت العديد من العلماء والمفكرين والفلاسفة، وذلك لعلو مكانتها وأهميتها فهي اللبنة الأساسية في أي منظومة معرفية، فإن جميع الموضوعات والأبحاث لا تخرج عن نطاقها أو على صلة بها سواء كانت صلة مباشرة أو غير مباشرة، كما تتجلى أهمية نظرية المعرفة في أنها تهدف إلى الوصول إلى تحقيق الوعي الصحيح الذي به يصل الإنسان إلى معرفة حقائق الأشياء، فالمراد بمعرفة الشيء أي الوصول إلى مرتبة اليقين به، ودحض الشكوك المتعلقة به فيبني الإنسان نموذج معرفي عن طريق مصدر

جدل تعريف المعرفة

لقد اختلف العديد من الباحثين حول تعريف المعرفة فنجد أن هناك من الباحثين يرى أن المعرفة من الصعوبة بمكان تعريفها وذلك لأنها يراد بها العلم بمفهومه الشامل، فإذا أراد الباحث تعريفها فإنه بذلك يعرف العلم وليس المعرفة" والعلم غير قابل للتعريف لأننا

نعرف جميع الأشياء بالعلم، ولا نستطيع أن نعرف العلم بالأشياء وذلك لأن العلم من المفاهيم البديهية التي يصعب تعريفها (١)

بيد أن هناك من الباحثين من يرى إمكانية تعريف المعرفة، وهذا الاتجاه هو القوة الغالبة، وقد استطعوا وضع تعريف للمعرفة حين فرقوا بين العلم والمعرفة فرأوا أن المعرفة محيط واسع يكمن في داخلها العلم حيث يصبح العلم فرع من فروع المعرفة فعرفها البعض بأنها: "نتاج متبادل بين الشيء المدرك والشيء المدرك بالتقابل والاتصال، وتميز المعرفة بالتقابل والاتحاد الوثيق في آنٍ واحد بين الطرفين (٢) ويرى جمال صليبيًا أن المعرفة هي إدراك حقيقة الأشياء وتصورها، أما القدماء فقد عرفوا المعرفة بأنها: " إلادرك بعد الجهل، وأنها هي تصديق أو تصور العلم المطلق، وهي إدراك الجزئيات بدليل. (٣)

ويرى الباحث إمكانية تعريف المعرفة لعلمنا أن العلم أخص من المعرفة فالمعرفة تشمل العمليات العلمية وغير العلمية، أما العلم فهو خاص بالعمليات العلمية فقط، ولذلك إذا حصل الإنسان بعض معارفه عن طريق المهارات العقلية للوصول إلى اكتشافات معرفية، أو التوصل إلى نتائج علمية، وإمكانية الحكم على هذه النتائج فهذه العمليات تعد عمليات علمية، كما نجد أن الإسلام قد فرق بين العلم والمعرفة بشكل واضح، فقسم العلم إلى مستويين:

المستوى الأول: هو علم علمي يقيني ولا يكون ذلك إلا الله {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} فهو العالم والعلم وحده

المستوى الثاني: وعلم نسبي جزئي مقيد وغير مطلق وهذا العلم الناقص لا يحصل إلا بواسطة {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} ولأن المعرفة نطاق أوسع

---

(١) الزريجاوي (د/ عادل زامل) نظرية المعرفة عند المسلمين ، الناشر جامعة الكوفة، ٢٠١٣م، ص٢٧٢.

(٢) المداعي (صالح محمد) تعريف العلم والمعرفة في صفوة مدارس الفكر الإسلامي/ أولى جامعة ناصر الأسمية، ٢٠٠٩م، ص٢٨٦.

(٣) إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون الطابع الأميرية ، القاهرة، ١٩١٣، ص١٨٧.

من العلم والعلم فرع من فروع المعرفة لذلك يقال عرفت الله ولا يقال علمت الله، كما أن المعرفة أيضًا تكون بواسطة بالنظر في ملكوت الله وبديع صنعه سبحانه وتعالى.

المعرفة والبناء الفكري في الإسلام

لقد حث الدين الإسلامي الحنيف على إدراك الحقائق عن طريق المعرفة بقسميها سواء كانت العمليات العلمية وغير العلمية التي بها يستطيع الإنسان الوصول إلى معارف شتى في شئون حياته { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} والإسلام لا يدعو إلى إدراك الحقائق في العلوم الدينية فحسب إنما يدعو إلى إدراكها في كل المعارف التي تخدم حياة البشر شريطة أن لا تصطدم هذه المعارف مع أصوله السمحة، كما نجد أن الإسلام يحث على التطور والترقي وعدم جمود في كل الأمور التي من شأنها تخدم حياة البشر {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} وهذه دعوة صريحة بعدم الجمود على الأشياء المتاحة فقط بل هي دعوة للإنسان بعد التوقف والبحث عن كل ما هو جديد ليطور نفسه بنفسه.

كما تجدر الإشارة إلى إسلامية المعرفة وكانت مع ظهور الإسلام حيث أن القرآن الكريم هو الذي ربط بين السماء والأرض وذلك من خلال الوحي المنزل من السماء، وكان من نتائج ازدهار الحضارة في عصر النهضة في القرن الرابع عشر هو تلك العلاقة الوثيقة وانسجامها بين الأرض والسماء، كما أننا نجد أن الإسلام يخبرنا عن طريق القرآن أن ثمة قوة مترابطة ومتلازمة بين الإنسان والعلم منذ بداية الخليقة {وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (١) كما يتضح لنا شرف العلم ومكانته في الإسلام، حيث أن الله تعالى شرف العلم بأن وصف به نفسه {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (٢)

وبهذا يتضح لنا اهتمام الإسلام البالغ بجميع المعارف التي تخدم الإنسانية حتى تسير الإنسانية نحو التقدم والتطور، وعدم الجمود على معرفة بعينها أو في معرفة بعينها، واهتمام الإسلام بالمعارف لم تقف عند حد المعارف الدينية فحسب وإنما كانت دعوة

(١) البقرة آية ٣١.
(٢) الفتح آية ٤.

الإسلام إلى البحث في جميع المعارف الدينية وغير الدينية على حد سواء، والمعارف التي يرفضها الإسلام هي التي من شأنها أن تكون ضارة بحياة الخلق، أو تكون من المحرمات التي نهى عنها الشارع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وعلى سبيل المثال منها تعلم علوم الأديان المحرفة أو المعارف الإلحادية وفيه أن عمر ابن الخطاب كان يقرأ في التوراة فنهاه المشرع الثاني [النبي صلى الله عليه وسلم] عن ذلك فقال {أفي شك أنت يا ابن خطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي}(١)

فهذا نهى صريح صحيح من النبي صلى الله عليه وسلم في تعلم أو حتى الاطلاع على أمور لا حاجة لنا فيها وقد توارث بعض الشك عند ضعاف المعرفة الإسلامية بسبب ذلك لكن يستثنى من ذلك العلماء المتخصصين إذا دعت الحاجة إلى ذلك للرد على أغالاطيهم وتحريفهم سواء كانت بعض الأديان المحرفة أو الرد على الملحدين.

كما نجد أن التصور الإسلامي كان له دوره الواضح والبارز في البناء الفكري، حيث دعوة العقل السليم إلى تصور متكامل لله والكون والإنسان ويتضح ذلك في قوله تعالى {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} (٢)- وقوله {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}(٣)

وقوله تعالى {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (٤) وبهذا التصور الكلي المتكامل يستطيع العقل المسلم تفسير الظواهر وردها إلى أسبابها ومسبباتها الحقيقية، أي أن التصور الإسلامي يسعى إلى بناء فكري يتوافق مع العقل والفطرة متحرر من الجمود الكائن في المعارف والعلوم الموجودة، كما نجد أن التصور الإسلامي في بنائه الفكري من خلال المعرفة الإسلامية قد اهتم بأسس المعرفة الثلاثة وهي طبيعة المعرفة، مصادر المعرفة، إمكانية المعرفة فنجد أن طبيعة المعرفة في التصور الإسلامي تقوم على طبيعة العلاقة بين الذات

(١) أخرجه أحمد (٣٨٧/٣)، الدرامي (١١٥/١) وغيرهم.
(٢) المؤمنون آية ٨٦.
(٣) الغاشية آية ١٧- ١٨- ١٩- ٢٠.
(٤) الذاريات آية ٢١.

المدركة وموضوعات الإدراك، ويتضح ذلك في قوله تعالى { وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } فآدم في الآية هو الذات المدركة والأسماء هي الأشياء المدرَكة وبينهما علاقة واتصال وهو العلم الذي يربط بينهما، كما نجد أن التصور الإسلامي قد يتفق أو يختلف مع بعض المذاهب الفلسفية حول طبيعة المعرفة فنجد أن المذهب المثالي يرى عدم وجود الأشياء إلا إذا أدركها العقل، والأشياء التي لا يدركها العقل يقولون باستحالة وجودها أي نرى أسبقية الفكر على الوجود(١)؛ بمعنى أن الذات المدرِكة والأشياء المدرَكة هي شيء واحد وأبرز هذه المدرسة جورج باركلي الذي يقول: بأن الذات المدركة والعالم الخارجي موضوع في عقل واحد (٢) وهو الله سبحانه وتعالى لذلك وجهت إليه الاعتراضات من بعض الفلاسفة بأنه متطرف، وهذا يخالف التصور الإسلامي فالنص الإسلامي له رؤية أخرى تتفق مع المذهب الواقعي الذي يرى أن الذات المدركة أو العارفة مستقلة عن الوجود الخارجي وإمكانية وجود الموضوعات المدرَكة حتى لو لم تعرفها الذات العارفة أو المدرِكة وبهذا يتفق التصور الإسلامي مع المذهب الواقعي حيث أن التصور الإسلامي للأشياء المدرَكة مستقلة عن الذات العارفة أو المدرِكة، وإمكانية وجود موضوعات أو أشياء حتى لو لم تتعرف عليها الذات المدرِكة، كما اتفقت الواقعية مع التصور الإسلامي أيضًا أنه ليس من الضروري أن تؤدي بنا المعرفة إلى عمل يُعمل في الواقع.

أما المذهب البرجماتي يقوم المذهب البرجماتي على النفعية أي لا تكون الفكرة مقبولة أو صادقة إلا إذا كان لها إمكانية التحقق في الواقع كما نجد أن المذهب البرجماتي يتجاهل الماضي ولا يؤمن إلا بالمستقبل فانطلاقه يكون من المستقبل وهذه الأفكار يرفضها التصور الإسلامي حيث أن التصور الإسلامي تبنى أفكارًا قد لا تتحقق في الواقع الحالي لكنها قد تتحقق في المستقبل ويتضح ذلك في قوله تعالى {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٣) وبهذا إخبار من الله عن خلق أدوات للركوب

(١) إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون الطابع الأميرية ، القاهرة، ١٩١٣، ص١٨٧.

(٢) الترتوري (محمد عوض) نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي وانعكاساتها على الواقع التربوي العربي المعاصر، رسالة دكتوراه ، الأردن ،٢٠٠٧، ص٣٤.

(٣) النحل آية ٨.

لكنها لا تكون في الزمن الحالي إنما تكون في المستقبل وذلك ما عبر عنه القرآن كما تعددت تصورات العلماء والباحثين لأشياء ولم تتحقق في واقعهم وتحققت في أزمنة بعدهم.

كما نجد أن التصور الإسلامي يهتم بالماضي والمستقبل، بالنسبة للمستقبل فقد تم توضيحه في الفقرة السابقة، أما بالنسبة للماضي فقد ذكر القرآن الكريم العديد من أخبار السابقين من الأنبياء وغيرهم عن بعض أفكارهم وأعمالهم للاستفادة منها.

أما بالنسبة لمصادر المعرفة، فكان التصور الإسلامي متمايزًا عن المذاهب الأخرى في مصادره للمعرفة حيث أن التصور الإسلامي كان يمتاز بالشمولية والواقعية والدقة نستطيع أن نقول أنه كان جامعًا بنسبة ليست باليسيرة لجميع المذاهب الفلسفية ولا نستطيع أن نكشف ما تميز به التصور الإسلامي إلا إذا مررنا على مصادر المعرفة عند بعض المذاهب الأخرى.

بالنسبة للعقليين فنجدهم قد اختزلوا مصادر المعرفة في العقل وحده فذهبوا إلى أن العلم الحقيقي والصدق المطلق أصله في القوة العاقلة" (١) وبهذا المفهوم فقد ضيقوا الخناق على المعرفة في جعلها في العقل وحده أما عن التجريبيين فوقعوا أيضًا في ما وقع فيه العقليين بأنهم حبسوا المعرفة في التجربة وأن كل علم ينشأ عن التجربة"(٢) أما بالنسبة لموقفهم من العقل أن العقل لديهم عبارة عن وعاء أو إناء يتم نقل إليه ما نتج عن الحس والتجربة، وبذلك لا يُسلموا أن العقل الإنساني يستطيع ابتداع المعاني والتصورات والتأليف بينها في حين أن العقليين أيضًا لا ينفون أن التجربة مصدر من مصادر المعرفة لكن تبلور نفيهم فقط أن تكون التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة بمعنى أن العقليين ينكرون وجود علم ضروري صادق على الإطلاق مصدره الوحيد هو التجربة(٣).

---

(١) نايف بن عبد الرازق من حمادي المصرفي، الفردية في الفلسفة البرجمانية، رسالة ماجستير، ص٦٧، ١٤٣٢هـ.

(٢) نايف بن عبد الرازق من حمادي المصرفي، الفردية في الفلسفة البرجمانية، رسالة ماجستير، ص٦٧، ١٤٣٢هـ، ص٦٧.

(٣) نايف بن عبد الرازق بن حمادي المصرفي، الفردية في الفلسفة البرجمانية، رسالة ماجستير، ١٤٣٢هـ. ص٦٧.

أما إذا مررنا في حقل البرجماتيين فنجدهم قد اختلفوا عن العقليين والتجريبيين حيث أنهم جمعوا بين ما ذهب إليه العقليين والتجريبيين ثم أضافوا مصدرًا ثالثا للعقل والحس وهو تحقيق الرضا والنفع.

وقد ذهب بيرس إلى مصدر رابع في حالة إذا لم تستطع التجربة تحقيق نجاحًا في الوصول إلى المعرفة وهو الحس المشترك والذي يتناول الأفعال الغريزية. (١) أما ذا انتقلنا إلى مصادر المعرفة في الإسلام فنجد أن الأمر مختلف عن المذاهب الأخرى في مصدرية المعرفة حيث أن التصور الإسلامي كان شاملاً جامعًا لكل المذاهب في مصادره للمعرفة وذلك لأنه لم يحصر المعرفة في مصدر بعينه حتى ولو كان إسلاميًا لكن حازت شموليته جميع المذاهب ويتضح ذلك من خلال سرد مصادره وهي كما يلي:

أ- الكون

لقد دفعنا المنهج الإسلامي بالبحث في هذا الكون عن بعض المعارف بالنظر والتأمل في بديع خلقه {أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} (٢) وحث المنهج الإسلامي العلمي البحث في هذا الكون ليحصل معرفة تعينه في حياته سواء كانت هذه المعرفة تتعلق بإيمان العبد بخالقه أو تتعلق بحياته الدنيوية أو العملية .

(ب) النقل (الوحي)

ويتولد من هذا النقل أربعة طرق في حصول المعرفة الإسلامية وهي:-

الكتب السماوية:-

لقد كان كل كتاب من هذه الكتب السماوية مصدرًا من مصادر المعرفة في وقته وزمانه سواء كانت هذه المعرفة تتعلق بالإيمان أو بحياة الإنسان الدنيوية فنجد أن الإسلام لم يحصر المعرفة الدنيوية في القرآن وحده كما فعلت كثير من المذاهب الفلسفية أنها حصرت المعرفة في مصدر واحد وبذلك يكون النقل ليس هو المصدر الوحيد في التصور الإسلامي إنما يكون مصدرًا من مصادر المعرفة.

---

(١) نايف بن عبد الرازق بن حمادي المصرفي، الفردية في الفلسفة البرجمانية، رسالة ماجستير، ١٤٣٢هـ. ص٦٨.

(٢) الأعراف.

٢- سنن الأنبياء:-

وهذه السنن هي ما كان يلقيه رب العالمين من معارف عن طريق الرؤيا أو الإلهام ولقد حثنا الإسلام على الأخذ من نبينا صلى الله عليه وسلم المعارف الدينية أو بعض المعارف الحياتية {وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} وكان من أهم ما تميز به الوحي في مصدريته للمعرفة أن المعرفة فيه معرفة مطلقة ويقينية ولا شك في صحتها لأن أصلهما يعود إلى الخالق سبحانه وتعالى، كما يتميز الوحي في مصدريته للمعرفة عن المصادر الأخرى أن لديه معارف تتعلق بالغيب.

(ج) العقل

لقد اهتم الإسلام بدور العقل، وأخبرنا في كثير من نصوصه عن دور العقل الكبير ويرى الباحث أن الإسلام حث الإنسان على الاستفادة من قدرات العقل التي يصل بها إلى حقائق يقينية ثابتة وذلك عن طريق قدرات العقل في التعلم والفهم والتفكير قال تعالى { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (١) وتقديرًا لدور العقل الهام في الإسلام دعا إلى إثبات الكثير من المسائل الاعتقادية كإثبات وجود الله ووحدانيته والبعث والنبوة وهو ما أسميته بالغيب العقلي الجزئي لأن الله جعل للإنسان إمكانية الوصول إلى غيبيات جزئية قد تغيب على أناس ويدركها آخرون هذا بخلاف الغيب الإلهي الذي يصل إلينا عن طريق الوحي مثل ما يختص بالجنة ونعيمها والنار وعذابها، والبرزخ وما فيه من نعيم وعذاب ويوم القيامة وما فيه من أهوال فيعجز العقل الإنساني على معرفة هذه الأحداث إلا عن طريق النقل (الخبر) وبذلك يتضح لنا أن العقل مصدر من مصادر المعرفة الهام في الإسلام.

(د) الحس

لقد أكد التصور الإسلامي في كثير من آياته على دور الحواس في اكتشاف المعرفة، فالحواس هي وسيلة من وسائل الإدراك نحو المعرفة لدى الإنسان وتنقسم

(١) آل عمران ١٩١.

المعرفة الحسية إلى قسمين الحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم واللمس والذوق قال تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (١) وهنا نجد أن القرآن الكريم تحدث عن ثلاثة من الحواس لتحصيل المعرفة وهي السمع والبصر والأفئدة، كما عبر القرآن الكريم عن حاسة اللمس في مصدريتها للمعرفة قال تعالى {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (٢)

أما عن حاسة الذوق فقال تعالى {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}(٣)

أما الحواس الباطنية فقد اجتهد فيها العلماء والباحثون حتى عبر البعض منهم عنها بأنها الإحساس الباطني كالغضب والفرح والحزن واللذة والألم والقوة (٤)

والمعرفة بالحواس هي المعرفة التي تأتينا عن طريق الحواس التي خلقت في الإنسان والتي سخرت من أجل الحصول على عملية الإدراك والاتصال بالعالم الخارجي وشعور الإنسان بحواسه ووظائفها وتكوينها العام وما لها من دور إدراكي أو معرفي وحدودها وقيمة المعرفة التي تقدمها الحواس(٥).

وبهذا يرى الباحث أن الحواس مصدر من مصادر المعرفة لكن في نفس الوقت نجد أن الحواس لا تكون صادقة دائمًا في إدراكها فقد تصيب وتخطئ وتخدع أحيانًا ويتضح لنا ذلك في قوله { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ }(٦) وقد اتخذ

(١) النحل: ٧٨.
(٢) الأنعام: ٧.
(٣) الأعراف: ٢٢
(٤) الطويل (توفيق) أسس الفلسفة ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٧، ١٩٧٩م.
(٥) الكروي (راجح) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، دار الفرقان، عمان ص٣- ٢٠٠٣م.
(٦) النور: ٣٩.

الكندي إلى التصور الإسلامي في عدم صدق الحواس في إدراكها دائمًا فيعبر عن المعرفة الحسية بأنها غير ثابتة لأنها في صيرورة دائمة تتبدل وتتغير في كل لحظة.(١)

(هـ) التجربة والخبرة

لقد اعتبر التصور الإسلامي أن التجربة مصدر من مصادر المعرفة، ولكن ليس العلم التجريبي كله قطعي كما يعتقد أصحاب المذهب التجريبي لأن العلم التجريبي قد يخطئ، فقد وجدنا أنه تم إبطال تجربة أو نظر الفلوجستين والذي كان يرى أصحابها أن الاحتراق يتم بوجود عنصر الفلوجستين وتم خطأ هذه التجربة.

وقد أسقط أينشتين أيضًا نظرية الأثير والذي كان يرى أصحابها بوجود وسط عضوي لا يُرى، ينتقل من خلاله الضوء وقد ثبت خطأ هذه التجربة أيضًا، لذلك لا يُسلم التصور الإسلامي بصدق التجربة بإطلاق لكنها محصورة بين الخطأ والصواب، أما بالنسبة لتبني التصور الإسلامي للعلم التجريبي واعتباره مصدر من مصادر المعرفة فيظهر ذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في تأبير النخل {عن موسى ابن طلحه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل فقال صلى الله الله عليه وسلم ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظن يغني ذلك شيئًا، فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال {إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً} ، فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل} (٢)

وفي هذا الحديث نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ظن ظنًا ورأى أن التجربة والخبرة أنفع في مصادرها فترك الناس للتجربة والخبرة.

(ز) الحدس والإلهام

---

(١) الكروي (راجح) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، دار الفرقان، عمان ص٣- ٢٠٠٣م.

(٢) صحيح مسلم (رقم/٢٣٦١).

لقد تصدر الحدس والإلهام عند الصوفية المصدر الرئيسي للوصول إلى المعرفة الصادقة، فإنهم وإن كانوا يقدرون دور العقل في المعرفة إلا أن الحدس والإلهام عندهم فوق العقل لأن العقل لديهم له دور محدود لا يستطيع أن يتخطاه، أما الحدس فهو يخترق ما وراء العقل، لذلك يعرفون الحدس أو (الذوق) بأنه ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد".(١) أو "هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث في التجلي البرقي".(٢)

وبذلك يرون أن الوسيلة إلى المعرفة الصادقة تكون عن طريق الحدس أو الإلهام وذلك حين تمتزج الذات المدركة بالموضوع المدرَك بحيث يصيران شيئًا واحدًا وعلى ذلك تكون المعرفة لدى الصوفية عبارة عن علاقة اتحاد بين العارف والشيء المعروف، ولا يعد الوجود أنه موضوعًا خارجًا عن الذات العارفة يدرك بأداة العقل والمنطق لأن الصوفية يرون أن أداة العقل والمنطق كالعين التي تنظر للشمس بقوة لتراها فيطفئها بريق الشمس "فالمعرفة الحقيقية هي أن يُعرف الشيء من الداخل، فلا تتم المعرفة عند الصوفية إلا بالحدس والإلهام والذوق. (٣)

ابن تيمية ونظرية المعرفة:

لقد أخذ المنهج المعرفي حيزًا واسعًا في فكر ابن تيمية، ويتضح ذلك في كثير من مؤلفاته، وكان من أهم مظاهر الأزمة التربوية والفكرية التي حلت بالتصور الإسلامي ذلك التسرب والاضطراب والخلل الذي أصاب المنهج المعرفي بعد التمزق والتفرق الذي ابتليت به الأمة الإسلامية من القرن الرابع الهجري الذي ظهرت فيه المذاهب الفكرية والفرق والشيع التي كان لها الأثر الكبير والبالغ على الواقع الثقافي والعقائدي في الانقسام والتناحر والتنابذ.

---

(١) القصيري (داود بن محمود) مطلع خصوص الكلم في معاني نصوص الحكم ،دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٧١م ،ص ١٩٣.

(٢) الكشخانوي (ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الله) جامع الأصول في الأولياء دار الكتب العلمية، بيروت ،٢٠٠٢م ، ص ١٠١.

(٣) أدونيس

ثم ظهر ابن تيمية والأمة في قمة اشتعالها، فأعطى ابن تيمية لأمته العديد من فكره واهتمامه وعطائه العلمي ، ولما ضاق ابن تيمية بهذه الأزمة زرعًا وجه فكره واهتمامه وعطائه العلمي إلى استهداف عودة العقل المسلم إلى صحته وأصالته إلى ما كان عليه الصدر الأول وتوجيهه التوجه الصائب نحو المعرفة وتطبيقها وعلى ذلك دار مفهوم المعرفة عند ابن تيمية على ثلاثة محاور:

١- فطرية المعرفة:

وهي تعني الشعور النفسي الضروري الملازم للنفس والذي يعتبر المرجع المعرفي لكل أنواع المعارف، يقول ابن تيمية {لا يتصور أن يعيش أحد من الناس ولا حتى البهائم مع جحد الحقائق والشعور بها فإن الإنسان مدني بالطبع}١ .

ومن هذه النظرية المعرفية يبدأ البناء المعرفي، التي نصل بها إلى أصل وجذور المعرفة مع وصفها وتحديدها داخل النفس البشرية " فمفهوم الفطرة وعلم النفس كل منها يحاول تحديد الأدوات والقدرات الذاتية، التي تمكن النفس البشرية من العلم بالأشياء بمعنى آخر تحديد مسالك المعرفة ومنابعها. (٢)

٢- واقعية المعرفة

لقد اهتم ابن تيمية بالواقعية في منهجه المعرفي والواقع عند ابن تيمية يكشف الحقائق الملتبسة، وبهذا يستطيع الإنسان بملكته الدقيقة فهم ما يحيط به الواقع المعرفي ولقد كانت واقعية ابن تيمية تنطلق من مبدأ استقلال الوجود عن الذات المدركة (٣).

٣- وحدته المعرفية

والمقصود بها هي الرؤية الكلية التي انتظم بها ابن تيمية في مواقفه المنهجية المعرفية، والتي من خلالها يعقل المعرفة والوجود، ولا شك أنه لا يصل إلى تلك الوحدة المعرفية إلا عقل يملك إدراك واسع يسعى إلى تحقيق أن وراء كل اختلاف ائتلاف أو أن وراء كل كثرة وحده وهذا ظاهر في فكر ابن تيمية المنهجي فنجده يرفض التعارض بين

(١) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ص٣٧٤.
(٢) منهج ابن تيمية المعرفي، ص٥٩.
(٣) ابن تيمية (أحمد عبد الحليم)، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص٨٧.

العقل والنقل بل يرى أن بينهما ائتلاف وعلاقة أن الذي خلق العقل هو الذي خلق النقل فيرى استحالة التعارض بينهما، كما أنه يرى انسجامًا حاصل بين السنن الكونية والسنن الشرعية، ويرى أيضًا تكامل المعرفة إما في طرقها وإما في التوافق الحاصل بين الفطرة المعرفية والواقع الديني والخلقي والحسي كما نجده يقول "أن دلائل الحق وبراهينه تتعاون وتتعاضد، لا تتناقض وتتعارض". (١)

ويرى الباحث أن هذا ما تميز به ابن تيمية في فكره ومنهجه المعرفي الذي راعى فيه مفهوم الوحدة المعرفية، وهذه كانت أهم المحاور التي كان يدور بينها ابن تيمية في مضمونه للمعرفة، أما عن مصادر المعرفة لديه فقد اعتمد ابن تيمية على ثلاثة مصادر رئيسية للمعرفة:

١- الوحي

ويعد الوحي أحد وأهم مصادر المعرفة عند ابن تيمية، وذلك لأن المعرفة التي يحصلها الإنسان عن طريق الوحي هي معرفة يقينية لأنها فرع من فروع علم الخالق سبحانه وتعالى، والوحي له خصائصه التي اختص بها الوحي دون المصادر الأخرى فقد اختص الوحي بإخباره عن يوم القيامة وأحداثه، وعن أسماء الله وصفاته، وما ينتهي إليه الإنسان بعد الموت، وعن الحياة البرزخية والأحكام الشريعية في أبواب الحلال والحرام، فهذه المعارف لدينا نحن المسلمين هي معارف ليست موضع للظن إنما هي معارف يقينية لأنها متعلقة بعلم الله، يقول ابن تيمية: "المعرفة المكتسبة من الوحي هي معرفة يقينية مطلقة ذلك أن الوحي بصفته جزءًا من علم الله له، ما لهذه الصفة من كونها حقيقة مطلقة غير محدودة، ودلالة الوحي في إفادة المعرفة الدينية دلالة شرعية سمعية وعقلية"(٢).

ويرى الباحث أن ابن تيمية قد اختلف عن بعض الاتجاهات التي لم تعد الوحي مصدرًا من مصادر المعرفة كالتجريبيين وغيرهم وذلك لأنهم لا يؤمنون بالوحي ويعدونه مصدرًا من مصادر المعرفة إلا من تجاوز مرحلة الشك وآمن بوجود الخالق سبحانه وتعالى.

---

(١) ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل ، ج٦، ص٢٤٨.

(٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى، ج١٣، ص١٣٦.

٢- العقل

لقد اعتبر ابن تيمية أن العقل مصدرًا هامًا من مصادر المعرفة وذلك لدوره الهام في تكامل المعرفة فتكمن أهمية العقل في مصدريته للمعرفة في علاقته بالوحي، فنجد أن العلاقة بين الوحي والعقل هي علاقة تكاملية ليس كما يفهم البعض أن الوحي عبارة عن نصوص إخبارية سماوية مطالب فيها العبد بالتسليم المطلق بالعاطفة دون تدخل العقل فيها، لكن الأمر بخلاف ذلك أن الوحي قائم على الدلالة العقلية ومتضمن لها، فالوحي لا يضاد العقل لأن الوحي والعقل كلاهما مصدرهما واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

كما نجد أن ابن تيمية اهتم بالعقل في مصدريته للمعرفة حيث بالعقل نعرف صدق الأنبياء والمعنى الباطني لكلامهم صلوات الله عليهم جميعًا يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني كلامه (١).

كما أن المعرفة العقلية يميزها ابن تيمية عن غيرها أنها تقبل الخبر وتفهمه وتميل إليه وذلك عن طريق الفطرة، فنجد أن من سمات المعرفة عنده " الفطرة والمقصود بها قابلية العبد لاستيعاب الخبر وفهمه والميل له وبذلك تستطيع الجمع بين معنيين جليلين هما عبادته سبحانه وتعالى، وحل الطيبات. (٢)

ومما سبق من كلام ابن تيمية يتضح لنا أن العقل شرط للوصول إلى المعرفة اليقينية، كما أن العقل شرط في صلاح الأعمال وكمالها، وذلك باتصاله بنور الوحي الذي يتطلب سلامة العقل".

٣- الحس

لقد أنعم الخالق سبحانه وتعالى على خلقه بأن وهب لهم الحواس لتكون مصدرًا من مصادر المعرفة لديهم، فالحواس هي وسيلة الإدراك المباشر، ولقد قُسمت الحواس في المعنى الاصطلاحي إلى نوعين وهما الحس الظاهر والحس الباطن، فقيل أنها "إدراك

(١) ابن تيمية ، درء التعارض، ج١، ص٣٨.
(٢) ابن تيمية ، درء التعارض ، ج٨، ص٣٣٨، ومجموع الفتاوى أيضًا ، ج٤،ص٢٤٨.

الأشياء عن طريق الحواس، فإن أدركت الحواس المعارف بالمشاهدات فهذا هو الحس الظاهر وإن أدركت الحواس المعارف بالوجدانيات فهذا هو الحس الباطن.(١)

ولقد كانت الحواس أو التجربة مصدرًا هامًا من مصادر المعرفة لدى ابن تيمية حيث أن ثمة علاقة وثيقة بين الحس والعقل وأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر حيث تكمن وظيفة الحواس في نقلها المعطيات الحسية إلى العقل، أما وظيفة العقل هي تصور هذه المعطيات الحسية والتأليف بينها.

يقول ابن تيمية الحواس : "هي ما يختبره المرء عن طريق العقل والحس وإن لم يكن من مقدورته، ذلك أن التجربة إنما تحصل بالنظر والتدبر والاعتبار، وملاحظة تكرار اقتران السبب بالمسبب عنه، وكل من العقل والحس مفتقر إلى الآخر، لأن الحس وظيفته نقل المعطيات الحسية إلى العقل (٢) وبذلك يرى الباحث بعد جمع مصادر المعرفة عند ابن تيمية يرى أنها تتسم بعدة سمات عن غيرها من المصادر عند المذاهب والاتجاهات الأخرى الإسلامية.

أولاً: تكامل المعرفة

مما سبق نلحظ أن مصادر المعرفة عند ابن تيمية تتسم بالتكامل فيرفض أن تكون بين مصادر المعرفة تعارض أو تضاد بل العلاقة بينهما هي علاقة تكاملية فيقول ابن تيمية "إن الخبر لا يفيد إلا مع الحس والعقل فإن المخبر عنه إن كان قد شوهد، كان قد علم بالحس، وإن لم يكن شوهد فلابد أن يكون شوهد ما يشبهه من بعض الوجوه، وإلا لم يعلم بالخبر شيء فلا يفيد الخبر إلا بعد الحس والعقل، فكما أن العقل بعد الحس فالخبر بعد العقل والحس، فالإخبار يتضمن هذا وذاك". (٣)

---

(١) التعريفات ، ص٣٠.
(٢) ابن تيمية، الرد على المنطقيين ، ص٩٢- ٩٥.
(٣) ابن تيمية ، درء التعارض ، ج٧، ص٣٢٤.

٢- شمولية المصادر عند ابن تيمية

وتكون مصادر المعرفة شاملة عند ابن تيمية حيث أنه لم يجعل مصادر المعرفة في مصدر واحدًا وفي مصدر بعينه لكن قال بمصدرية العقل في المعرفة كما ذهب إلى ذلك المذهب العقلي وقال أيضًا بمصدرية المعرفة في الحواس كما ذهب إلى ذلك التجربيين وتميز ابن تيمية عن المذهبين باتخاذه الوحي مصدر من مصادر المعرفة بل جعله أعلى المصادر اليقينية لأنه متعلق بالذات الإلهية وتتضح شمولية ابن تيمية في مصادره للمعرفة بقوله "يكمل علم الأمم في الذين يجعلون الحس والخبر والعقل مصادرًا للمعرفة، ومن يكذب بأحدها فإنه ينقص من العلوم على حسب ما كذب من هذه المصادر". (١)

٣- غاية المعرفة

كما تتسم غاية المعرفة عند ابن تيمية وفي التصور الإسلامي عمومًا بأن غايتها هو القرب من الله والتعلق به سبحانه وتعالى.

وبذلك قد وضح لنا اختلاف ابن تيمية عن غيره من الاتجاهات الفلسفية في مفهومه للمعرفة أنه لم يجعل يحصر مصادر المعرفة في مصدر واحد إنما يعتمد على الوحي والعقل والحس جميعًا.

ويرى الباحث أن ابن تيمية قد جعل المعرفة في مصادره الثلاثة وهما الخبر، والعقل والحس وأن مصادر المعرفة تستوعب أكثر من ذلك حيث يرى الباحث أن تقسم مصادر المعرفة إلى أصول وفروع عنها فيرى أن يكون الوحي مصدرًا من مصادر المعرفة ثم ينبثق من هذا المصدر فروعًا وهي:

١-الكتب السماوية: الزبور – الإنجيل- التوراة – القرآن.

٢-سنن الأنبياء: التي أخبر بها الأنبياء عن طريق الوحي.

٣-رؤيا الأنبياء: والتي هي بالطبع صادقة.

٤-الإلهام: وهو من توفيق الله لأنبيائه عليهم السلام.

(١) ابن تيمية (أحمد عبد الحليم)، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص١٧٩.

كما يرى الباحث أن يكون الحس مصدرًا من مصادر المعرفة أيضًا ولكن ينبثق منه أيضًا:-

١-التجربة: لأن بالتجربة يستعين الإنسان ببعض الحواس للوصول إلى المعرفة كالسمع والبصر وغيرهما.

٢-الخبرة: وذلك أيضًا لأن الإنسان يحصل خبراته عن طريق بعض الحواس كما يرى الباحث أن الخبرة تشترك مع الحس والعقل من مصادر المعرفة.

كما يميل الباحث إلى مصدرية العقل في المعرفة بانبثاق هذه الفروع عنه وهي:

١-الخبرة: وبهذا اشتركت الخبرة في فرعيتها مع الحس والعقل وتكون فرعًا من فروع العقل لأن الخبرة أيضًا كما يرى الباحث أنها عبارة عن مخزون من المعلومات في العقل يستطيع الإنسان إخراجها عند الحاجة إليها.

٢-الحدس العقلي: وهو الذي نتاجه يكون محصور في البديهيات العقلية مثل إدراكنا أن الاثنين ضعف الواحد وأن الجزء أصغر من الكل إلخ.

وقد عد القرآن الكريم الحدس من مصادر العقل المعرفية لكنه مصدر ثانوي وذلك حين أخبر القرآن عن يعقوب عليه السلام {يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} (١) وبهذا أدرك يعقوب عليه السلام بحدسه العقلي إصابة بنيه بالعين حين دخولهم من باب واحد.

(١) يوسف: ٦٧.

المبحث الثاني

دور العقل في المعرفة

أولاً: جدل إمكانية المعرفة العقلية

لقد اختلف كثير من الفلاسفة والعديد من الاتجاهات الفكرية المختلفة حول دور العقل في المعرفة فنجد أن البعض ذهب إلى أن العقل هو الحقيقة الوحيدة للوصول إلى معرفة يقينية حقيقية ويمثل هذا الاتجاه الاعتقاديون أو العقليون بينما ذهب اتجاه ثاني إلى أن دور العقل عن الوصول إلى معرفة يقينية هو أمر نسبي حيث لا يستطيع العقل أن يكون كل شيء، وإن عرف بعض الأشياء لا يستطيع معرفتها معرفة كاملة وهؤلاء النسبيون ثم ذهب اتجاه ثالث وهم الشكاكون أو السوفسطائيون وهم الذين يشكون في إمكانية المعرفة بإطلاق وكان من بينهم جورجياس (ت٣٨٠ ق. م)، والذي كان له مؤلفًا بعنوان اللاوجود والذي حاول فيه أن يبرهن على عدة أمور وهي نفيه لوجود الأشياء، فإذا وجد شيء فالإنسان عاجزًا عن إدراكه ثم افترض أنه لو أدركه فالإنسان عاجزًا أن يوصله لغيره" (١).

لقد كان مبحث إمكانية المعرفة العقلية كان لا وجود له في العلوم قديمًا لأن الإنسان وقتها لا يملك علم أن ما يعلمه ينبغي الرجوع إليه ومن ثم الشك فيه لأن شك الإنسان في ما يعلمه ليصل إلى حقيقة يقينية يصوب بها ما مضى، وهذا يعد علمًا ويتضح ذلك فيما يذكره الكردي "والإنسان لا يستطيع أن يشك في أنه يعلم شيئًا والبحث في الفكر نفسه وفي أهميته وصدقه وحدود إدراك الواقع الخارجي، هو الذي دفع الباحثين لإثارة مثل هذه الموضوعات. (٢)

(١) الصدر (محمد باقر) فلسفتنا ، دار التعاون ، بيروت ، ط١٣، ١٩٨٣ ، ص١٠٤

(٢) الكردي (راجح) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة – الكتاب الأول: المعرفة بين الشك واليقين ، دار الفرقان، عمان،ط٢، ٢٠٠٤م، ص٧٧

وكان من أول من تعرض لهذه المسألة إمكانية المعرفة السوفسطائين الذين يشكون في إمكانية المعارف عن طريق العقل وازداد الشك عند السوفسطائين إلى ذروته فأصبح مذهبًا لديهم وخاصة على بيرون صاحب المذهب الشكي اليوناني (١).

أما إذا ذهبنا إلى الوضعيين والنقديين فيذهبون إلى إمكانية المعرفة العقلية لكن بقيد وقوفها عند الخبرة، أما العقليون والتجريبيون يرون إمكانية المعرفة أيضًا لكن بلا حدود أما المتكلمين وبعض فلاسفة الإسلام انحازوا إلى الطرف الذي يرى إمكانية المعرفة العقلية حيث أنهم بحثوا في إمكانية المعرفة التي من شأنها أن توصلهم إلى إثبات العلم والحقائق أو إثبات العلوم الضرورية، وبيان فساد من ينكرون وجود حقائق علمية لذلك كان مبحث إمكانية المعرفة كان له قصب السبق عن باقي مباحث المعرفة حيث أننا لا يمكننا البحث في مسائل المعرفة.

إلا إذا سلمنا بإمكانية المعرفة، وأن الذي يذهب إلى يقينية إمكانية المعرفة هو الذي يستطيع أن يبحث في جميع الموضوعات التي تتعلق بكل جوانب المعرفة (٢)

وعلى ذلك يرى الباحث أن دور العقل في المعرفة عند جميع الاتجاهات السالف ذكرها يختلف بحسب مقدار وقدرة العقل لديهم، فنجد أن السوفسطائيين يرون أن دور العقل دور ضئيل ومشكوك في صدقه للوصول إلى معرفة يقينية أما النقديون أو الوضعيون يرون أن أهمية دور العقل في المعرفة لكن بحدود وتقف حدود المعرفة عندهم عند الخبرة، بينما العقليون والتجريبيون يرون دور العقل وأهميته القصوى للوصول إلى معرفة يقينية بلا قيود ولا حدود أو أن دور العقل في المعرفة لديهم يكون بإطلاق.

وهنا يقف الباحث موقف النقد لكل من سموا بمذهب الشكاك والعقليون والتجريبيون الذي يرى الباحث أن كلاً يغالي ويبالغ في قصوره لدور العقل فمن سموا بالشكاك يضعفون من دور العقل في الحصول على معرفة يقينية يكادون أن يتصوروا أن العقل لا دور له في المعرفة، وهذا يضاد ما جاءت به الأديان والعقول، أما العقليون والتجريبيون

(١) Lacey,1990,p213، نقلا عن الترتوري (محمد عوض) نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي.
(٢) الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٧٧- ٧٨.

فيرون دور العقل بإطلاق سواء كان قاصر على العقل فقط كما عند العقليين، أو كان بواسطة الحواس كما عند التجريبيين.

فالباحث يرى أن كلا الطرفين جانب الصواب لأننا لو سألنا الشرع عن موقفه من دور العقل أجاب بقوله تعالى: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}(١)

فيظهر من الآية أن ثمة أمور يعرفها الإنسان وأخرى تغيب عنه ولو سألنا العقل عن دوره في المعرفة لأجاب بقوله ثمة معارف يستطيع الحصول عليها وأخرى قد يموت الإنسان ولا يصل إليها وقد يصل إليها من بعده، وأرى أن هذا ما يتفق عليه أغلب العقلاء.

وعلى ذلك يميل الباحث إلى الرأي الوسط الذي قال به الوضعيون والنقديون.

دور العقل في المعرفة عند ابن تيمية

لقد آمن ابن تيمية بأهمية العقل لدى الإنسانية وعده مصدرًا من مصادر المعرفة كما سبق تبينه وتوضيحه، ومن ثم كان العقل له دور كبير لديه في البناء المعرفي لدى الإنسانية، لذلك فإن البناء المعرفي عنده يقوم على شطرين والعلاقة بين هذين الشطرين تتسم بالتكامل، بمعنى لا يستطيع أحدهما أن ينفك عن الآخر حتى تكتمل المعرفة.

الشطر الأول: تحضير المعرفة ثم يستكمل هذا الشطر بالشطر الثاني وهو تكامل المعرفة ولقد عبر ابن تيمية عن هذين الشطرين فيقول "من المسلم به أن المعرفة تبنى على طرق وإدراكات وقوة ظاهرة وأخرى باطنة في الإنسان فعندما يشهد الأشياء ويحس بها (وهذه هي تحضير المعرفة) ثم التخيل والضبط بعقله ويقيس الشاهد على الغائب (٢) (تكامل المعرفة).

وبذلك يرى الباحث أن ابن تيمية ذهب إلى أن دور العقل في البناء المعرفي يبنى على عنصرين الأول عندما يشهد الأشياء ويحس بها فكأنه في فترة التحضين ثم بعد ذلك يرتفع إلى درجة أعلى وهي تخيل أو تصور هذه الأشياء وضبطها وقياسها على ما شاهده من

---

(١) النساء: ١١٣.

(٢) ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية ص٧٧، ج١ ، ص٤٣٤

قبل فبذلك قد وصل الإنسان إلى درجة تكامل المعرفة لديه، ونفصل بالتحليل هذين العنصرين فيما يلي:

أولاً: تحضير المعرفة

وتتم تحضير المعرفة في الإنسان من خلال المعرفة المكتسبة التي تصل إلينا عن طريق الحواس من العالم الخارجي حتى تصل إلى درجة تكاملها، وقد عبر ابن تيمية عن ذلك بقوله: "الاعتبار بالنظر والقياس، وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس(١).

وبهذا يرى الباحث أن دور العقل عند ابن تيمية يكمن في تلقي ما نقل إليه من المعارف المكتسبة عن طريق الحواس ثم الحكم عليها من ناحية النفي أو الإثبات، وهذا دور العقل للوصول إلى المعرفة، أما الحواس فليس لها دور في التمييز أو الحكم على الأشياء ويشير إلى ذلك ابن تيمية بقوله "فحاسة السمع تدرك الصوت لكنها تمنع من التمييز بين الأصوات أي تحس به فقط، أما الحكم على الصوت يعرف بالعقل، والذي به يعرف ما وقع فيه الحس من الأخطاء" (٢) ثم يمضي ابن تيمية أيضًا معبرًا عن دور العقل في المعرفة "بالحس الظاهر والباطن يشهد المرء بهما أمورًا معينة جزئية ثم يعقل بما يجعله الله في عقله من العبرة والقياس". (٣)

ثانيًا: تكامل المعرفة

وتتم تكامل المعرفة التي اكتسبت من العالم الخارجي عن طريق التأمل العقلي الذي يقوم فيها العقل بدوره بالتأليف بين المعارف وتنظيمها ليصل إلى حقائق هذه المعارف، وتنشأ تكامل المعرفة لدى الإنسان من خلال طريقتين وهي استدلال العقل، وحكم العقل.

(أ) استدلال العقل

من الأمور التي لا ريب فيها أن الله عز وجل خلق فطرة الإنسان مهيئة لإدراك ومعرفة الحقائق، والاستدلال وضح حقيقته لنا الجرجاني بقوله: "أن الاستدلال يقوم على طلب

---

(١) ابن تيمية ، درء التعارض،ج٧، ص٣٣٤.

(٢) ابن تيمية ، بغية المرتاد ،ص٣٦٧

(٣) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق د/ علي بن حسن بن ناصر، دار العاصي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط ٢، ج٤، ص٣٩٩- ١٩٩٩م.

إقامة الدليل وتقريره لإثبات المدلول" وفطرة العقل في تطلع دائمًا إلى النظر وإقامة الدليل، وقد ضرب ابن تيمية مثالاً على الاستدلال الذي يجمع فيه بين الاستدلال الشرعي والاستدلال العقلي فيقول "يستدل المرء على ذلك بوجود مبدع لهذا الكون بخلق الإنسان في أحسن تقويم وهو استدلال شرعي والتي أشار إليها القرآن وهدى وأرشد الناس إليها، وهو استدلال عقلي صحيح فالإنسان حادث بعد أن لم يكن وخلق وولد من نطفة ثم من علقة، وهذا لم يعلم بمجرد إخبار الرسول به، بل يعلمه الإنسان بعقله أيضًا(١).

(ب) حكم العقل

وهو الطريق الثاني الموصل إلى معرفة حقيقية، وليس المقصود هناك بحكم العقل أي الحكم على الأشياء من حيث حسنها وقبحها، ولكن المقصود به هنا هو نسبة التوافق وعدمه بين شيئين كما أن الحكم العقلي هو عملية ذهنية خالصة تعقب عملية التصور والاستدلال لتنتج لنا في نهاية الأمر معرفة حقيقية صادقة لذلك نجد أن يوسف كرم يؤكد على أن الحكم العقلي يعقب ثلاثة أفعال ذهنية" وهي التصور لمعنين ثم المضاهاة بينهما، وإدراك ما بينهما من نسبة وتوافق أو عدم توافق"(٢) وإلى ذلك ذهب ابن تيمية أيضًا بقوله "يتصور المعنين أولاً وهما الأصل والفرع، ثم ينتقل إلى لازمهما وهو المشترك ثم إلى لازم اللازم وهو الحكم (٣) وبذلك ينطبق كلام ابن تيمية مع ما ذهب إليه يوسف كرم أن الحكم العقلي يأتي بعد تصور المعنين ثم ينتقل إلى لازمهما وهو المشترك والمقصود به الاستدلال بالتنقيب عن نسبه العلة بين الأصل والفرع التي يعقبها الحكم العقلي.

---

(١) الجرجاني ، التعريفات ، ص١٧.
(٢) ابن تيمية ، النبوات ، ج١، ص٢٩٢- ٢٩٣.
(٢) كرم (يوسف) العقل والوجود ، دار المعارف، مصر،١٩٦٤م، ص ٤٨
(٣) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ص١٦٢.

المبحث الثالث

دور القلب في المعرفة

أولاً: جدلية دور القلب في المعرفة

لقد تعددت الآراء بين المفكرين والفلاسفة حول دور القلب في تحصيل المعرفة واتجهوا إلى ثلاث اتجاهات:

الاتجاه الأول:

وهو الذي يرى أن القلب لا مجال له في الوصول إلى معرفة يقينية، ومن ثم يكاد ينعدم دور القلب في المعرفة، وأن الذي يُعتمد على دوره في المعرفة هو العقل ويمثل هذا الاتجاه الفارابي وابن باجة.

الاتجاه الثاني:-

وهذا الاتجاه فقد اتخذ موقفًا وسطًا حول دور القلب في المعرفة حيث أنهم رأووا أن القلب له دور واضح في تحصيل المعرفة لكنهم مع ذلك لا ينكرون دور العقل الذي يحمل قدرًا عظيمًا من الأهمية في تحصيل المعرفة ويمثل هذا الاتجاه الكندي وانبت تيمية وابن الطفيل وغيرهم.

الاتجاه الثالث:

بينما نجد أن هذا الاتجاه يرى أن القلب هو الطريق الوحيد الذي يعد دوره هو فقط الذي نصل به إلى معرفة يقينية ويمثل هؤلاء الصوفية وبعض الفلاسفة وعلى الرغم أن هذا الفريق يعد منهم الصوفية الذي ينتمي إليهم الغزالي إلا أن الغزالي كان أرقى منهم حيث أنه لم ينحاز إلى القلب وحده، بل أمن وسلم بدور العقل الهام أيضًا في حصول المعرفة وعلى ذلك سنمر على كل اتجاه من هذه الاتجاهات.

(أ) الاتجاه الأول:-

سنجد في هذا الاتجاه بعض الفلاسفة الذين لم يجعلوا للقلب أي دور في تحصيل المعرفة أو الوصول إليها، بل لم يتناولوا القلب من قريب أو بعيد لأنهم لا يعرفون سوى العقل والحس وهما المنوطان بدورهما في الوصول إلى المعرفة، بينما سنجد آخرون منهم قد تناولوا الحديث عن القلب لكنهم لم يعترفوا إلا بالعقل والحس وعلى ذلك حصرت

البحث عن اثنين من الفلاسفة فقط حتى لا يطول هذا المبحث بين أيدينا وهما: الفارابي، وابن باجة.

أولاً: الفارابي ت ٩٥٠ م:

لقد كان الفارابي من أوائل فلاسفة الإسلام الذي لم تكن المعرفة القلبية لها وجود في فلسفته بمعنى أن القلب يخلو من أي دور في الوصول إلى المعرفة، فهو لم يقر إلا بالمعرفة العقلية والمعرفة الحسية "وإقراره بالمعرفة العقلية والمعرفة الحسية لم يكن نابعًا من ذاته، إنما يعود إلى تأثره بأرسطو وأفلاطون" (١) ولم تكن المعرفة الحسية والمعرفة العقلية بينهما الفصال، وعلى ذلك لا تكتمل المعرفة عند الفارابي إلا عن طريق الحس والعقل معًا ووسائط بينهما فيقول "بمباشرة الحس للمحسوسات تحصل حدود المحسوسات في الحس، ثم تنتقل إلى الحس المشترك فتحصل فيه، ثم تنتقل إلى المخيلة، ثم تنتقل إلى قوة ثم إلى التمييز لتهذيبها وتنقيحها، ثم تنتقل إلى العقل فتحصل فيه". (٢)

وعلى ذلك يرى الباحث أن المعرفة لا تحصل عند الفارابي في العقل إلا بعمل مشترك بين طرق المعرفة الثلاثة التي ذكرها الفارابي في النص السابق وهما القوة الحاسة والقوة المتخيلة، والقوة العاقلة أو الناطقة.

كما يرى الباحث أن الفارابي قد اختلف عن الكندي في أنه جعل المعرفة الحسية ذات أهمية بالغة، بل هي الباب الأول الذي يطرق عند حصول المعرفة وبذلك يتفق الفارابي مع ما جاء به الإسلام في قوله تعالى {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} (٣)

---

(١) فلابد (د/محمد) من ماجد مفكري المسلمين الفارابي وابن سينا ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦١م، ص ٤٢ – ٤٣.

(٢) جوابات لمسائل سئل عنها الفارابي ، ضمن كتاب فلسفيات ، تحقيق د/ جعفر ياسين، نقلاً عن المعرفة بين فلاسفة المشرق والمغرب، للدكتور الطنطاوي فراج الجالي

(٣) التعليقات للفارابي نقلاً عن المعرفة بين فلاسفة المشرق والمغرب ، للدكتور الطنطاوي فراج الجالي، ص٣٨.

ويذكر الفارابي أهمية الحس في تحصيل المعرفة بل في الصدارة قائلاً "والإنسان تحصل له المعارف من جهة الحواس، بإدراكه الكليات من جهة إحساسه بالجزئيات ونفسه عالمة بالقوة، وتستفيد النفس الإنسانية المعارف بطرق الحواس المختلفة". (١)

وعلى ذلك يرى الباحث أن القلب عند الفارابي يخلو من أي دور في حصول المعرفة وأن اهتمامه بالحواس في دورها وجعلها في المرتبة الأولى لحصول المعرفة وجعل العقل في المرتبة الثانية وذلك كان نابعا من تأثره بالإسلام فهو فيلسوف مسلم وتربى في بيئة إسلامية.

ثانيًا: ابن باجة ت ١١٣٨ م:

لقد ذهب ابن باجة إلى أن الثقة التي تمنح للوصول إلى معرفة يقينية صحيحة لا تمنح إلا للعقل، وأن العقل هو السبيل الذي لا سبيل سواه للوصول إلى السعادة ولكي يعد الإنسان فاضلاً ويحيى في مدينة فاضلة هو بلوغه مرتبة الاتصال وعلى ذلك يقول "فالعقل يفهم منه ما يفهم من المعقول، والعقل ليس متعدد إنما هو عقل واحد إذ أنه قد خلا من الإضافة التي تتناسب بها الصورة في الهيولي، والنظر من هذه الجهة هو الحياة الآخرة، وهو السعادة القصوى الإنسانية المتوحدة". (٢)

وبهذا النص يتضح لنا أن ابن باجة يشير إشارة المصوب الذي يصحح من هو الشخص الذي يصل إلى معرفة صحيحة إنه الشخص المتوحد.

ويذهب ابن باجة إلى أن المقصود بالشخص المتوحد هو الذي يحيى بنور العقل، كما يحيى دائمًا على تطور عقله في مناخ يموج بالحرية وبذلك لا يصل إلى المعرفة اليقينية إلا خواص الناس وهم المتوحدون.

وعلى ذلك لم يكن للقلب أي دور في الوصول إلى المعرفة اليقينية الصحيحة شأنه في ذلك شأن الفارابي أستاذه المتابع له ويتضح ذلك في نقد ابن باجة للغزالي" يزعم الصوفية استطاعة الإنسان أن يدرك السعادة القصوى قد يكون بغير تعلم، بل بالتفرغ، وبأن لا يخلو

---

(١) الملك. ٢٣

(٢) ابن باجه، رسالة اتصال العقل بالإنسان ضمن رسائل ابن باجة الإلهية ، تحقيق د/ ماجد فخري- دار النهار- بيروت ، ١٩٦٨م، ص ١٦٦.

طرفه عين عن ذكر المطلق، ولأنه متى فعل ذلك أجمعت القوى الثلاث وأمكن ذلك، وذلك كله ظن وفعل، ظنوا أمر خارج عن الطبع". (١)

وبهذا النص يرى ابن باجة أن ادعاء الصوفية أن الوصول إلى المعرفة الصحيحة قد يكون بعيدًا عن العقل هذه ظنون وتخيلات واهية لا توصل إلى الحقيقة، كما يرى ابن باجة أن ما ذهب إليه الغزالي أن السعادة لا تكون إلا بالامتلاك الكامل للحقيقة بنور يقذفه الله في النفس هذه صور حسية تحجب الحقيقة، وأن النظر العقلي الخالص الذي تشوبه لذة حسية هو وحده الموصل إلى مشاهده الله". (٢)

وعلى ذلك يرى الباحث أن ابن باجة يؤكد على أن القلب يخلو من أي دور للوصول إلى المعرفة اليقينية وأن الثقة المطلقة لا تكون إلا للعقل وأن من سعى خلافًا للعقل فهو سعى وراء السراب وظنون وتخيلات واهية تقضي على الحقيقة وتمنع من الوصول إليها، وبهذا يكون ابن باجة تعصب للعقل تعصبًا بالغ فيه أشد المبالغة للعقل بينما القلب عنده لم يتمتع بأي دور في الوصول إلى المعرفة.

الاتجاه الثاني:

أولاً: الكندي ت ٨٧٣ م:

لقد ذهب الكندي إلى أن الحس والعقل والقلب جميعًا هم المنوطين بدورهم البالغ للوصول إلى المعرفة، وإن كان المشهور عنه أنه قد حصر المعرفة بين الحس والعقل.

لكنني وجدت أن الدكتور أحمد فؤاد الأهواني قد تحدث عن القلب أو المعرفة الذوقية عند الكندي في كتابه الكندي فيلسوف العرب، وهذا الذي جعلني أرى أن الوصول إلى المعرفة يكون عبر الدور الذي يقوم به الحس والعقل والقلب في تحصيل المعرفة وعلى ذلك قسمت دور الحس والعقل والقلب عند الكندي إلى قسمين:

الأول: المعرفة بين الحس والعقل

---

(١) ابن باجة- تدبير المتوحد ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق د/ ماجد فخري، دار النهار- بيروت، ١٩٦٨م، ص ٥٥ – ٥٦.

(٢) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة د/ أبو ريده ، دار النهضة العربية ، بيروت،، ط٣، ١٩٥٤م، ص ٣٠٣.

سنجد في هذا القسم أن الكندي لم يجمع القلب أو المعرفة الذوقية مع الحس والعقل في رسالة واحدة، فهنا سنجد أن الكندي يتحدث عن الحس والعقل فقط في دورهما في تحصيل المعرفة فيقول: "لا نستطيع الوصول إلى المعرفة إلا عن طريق وجودين وهما الوجود الحسي والوجود العقلي". (١)

والملاحظ كأن الكندي قد حصر المعرفة في الحس والعقل لكنه في حقيقة الأمر قد تحدث عن القلب لكن في رسالة النفس.

بيد أن الكندي قد فرق بين دور المعرفة الحسية والمعرفة العقلية حيث يختلف دور المعرفة الحسية عن المعرفة العقلية بحسب القرب والبعد من الإنسان والطبيعة، فمثلاً يرى الكندي أن المعرفة الحسية قريبة من الإنسان لأن الحواس خلقت مع خلق الإنسان.

والحواس في نفس الوقت بعيدة عن الطبيعة، ويبرهن على ذلك أن دور الحس ينحصر في مباشرة المحسوسات، كما يرى أن دور الحس هو دور مهزوز ودور ضعيف ويبرهن على ذلك بتغير المحسوسات التي تدركها الحواس، فكل المحسوسات التي وجدت فهي متغيرة ومتبدلة وبهذا التغير والتبدل وعدم الثبات لا تستطيع أن نصل بها إلى معرفة يقينية، وبذلك تكون معرفة ضعيفة دنيا وليست عليا وعلى ذلك يرى أن الإدراك الحسي بعيد عن الطبيعة قريب من الإنسان وذلك أن الإدراك الحسي يحصله الإنسان عن طريق الحواس منذ خلقته، فإيجاد الحواس لدينا عند مباشرة الحس محسوسة بغير زمان أو مؤونة، وهذا كله متبدل بتبدل أحد أنواع الحركات، كما أن هذا المحسوس لا يملك الثبات وذلك لزوال ما نباشر. (٢)

الثاني: دور القلب في المعرفة

لقد رأى الكندي أن للقلب دورًا يحمل قدرًا عاليًا من الأهمية في تحصيل المعرفة وتعود هذه الأهمية للقلب عند الكندي لأنه كما وصفه الكندي أنه نور من نور الباري

---

(١) الكندي (أبو يوسف)، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الفكر العربي، ١٩٥٠، ص ٩٧.

(٢) الكندي (أبو يوسف)، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده ،دار الفكر العربي،١٩٥٠، ص١٠٦.

ويذكر الدكتور الأهواني المعرفة الذوقية أو طريق الفيض الرباني فيقول والمتأمل في بعض رسائل الكندي.

في النفس المختصر من كتاب أرسطو وأفلاطون يجد أن الكندي يذكر أن هناك طريقًا ثالثًا للمعرفة هو طريق الكشف أو طريق الفيض الرباني فيقول الكندي" إن النفس في قوتها إذا تجردت أن تعلم سائر الأشياء بعلم الباري بها، أو دون ذلك برتبة يسيرة لأنها أودعت من نور الباري "وبذلك يرى الكندي أن التجرد عن الدنيا والزهد فيها، والنظر إلى حقائق الأشياء والبحث فيها هو طريق للمعرفة، فالنفس كالمرآة إذا صدئت لم تظهر فيها الصورة، وإذا انطلقت انعكست الصورة عليها، بمعنى إذا تدنست النفس كانت على غاية الجهل، وإذا تهذبت وتطهرت وصفت اكتسبت معرفة الأشياء، وتزداد النفس معرفة للأشياء إذا زاد صفائها. (١)

وعلى ذلك يرى الباحث أن رؤية الكندي في دور الحس والعقل والقلب للوصول إلى المعرفة ناتج عن خلفيته الإسلامية وتأثره به، لكن الكندي رأى أن دور الحس هو هو دور ضعيف أو ضئيل إلى دور العقل في المعرفة وهذا ما أجده أنه قد انزوى بعض الشيء عن توجهات الإسلام، لأن وجهة الإسلام توجهت إلى أن الحس هو الدور الأول للوصول إلى المعرفة، ثم يكون العقل له دوره لكن بعد دور الحواس وهذا يتبين في قوله تعالى {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} (٢) ثم نجد الإسلام أردف دور العقل بعد الحواس في آيات كثيرة {أفلا تعقلون} {أفلا ينظرون} {أفلا تتفكرون} – إلى غير ذلك من العديد في هذا المضمار.

ثانيا/ ابن تيمية ت ٧٢٨ م:

لقد كان ابن تيمية واحد من أهم العلماء والفقهاء الذين اهتموا أشد اهتمامًا بالمعرفة وأهمية ودور العقل والقلب والعقل في تحصيل المعرفة وكان وسطًا في تحريه عن مصادر المعرفة فقد انتفى عنه أنه كان يغالي في دور أحد هذه المصادر أو كان يهمل

(١) الأهواني (د/ أحمد فؤاد) الكندي فيلسوف العرب، سلسلة إعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥

(٢) سورة الملك- الآية ٢٣.

بعضها لكنه كان يعي أهمية ودور هذه المصادر في تحصيل المعرفة، أما عن رؤيته في دور القلب في تحصيل المعرفة فكان يرى كذلك أن للقلب أهمية ودور كبير في طريق المعرفة، فيرى أن دور القلب في الوصول إلى المعرفة يعود إلى فضل الله وتوفيقه، فيرى أن من دور القلب في تحصيل المعرفة أن الله خلق القلب بفطرته يقبل العلم أو المعرفة لكن شريطة أن الإنسان يحمل قدرًا من الاستعدادات بمعنى (١) أن الإنسان هو الذي يرغب في الوصول إلى المعرفة وبهذه الحالة يتدخل فضله وتوفيقه ويصير الإنسان حيئنذ موهوبًا ويصير الإنسان بذلك هو الواسطة بين القلب والمعرفة.

كما يرى ابن تيمية أن دور القلب الهام في الوصول إلى المعرفة أنه يعقل الأشياء، والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده ويثبته ويضبطه ويعيه. (٢)

وهذا ما يتميز به القلب عن الحواس، فتكمن وظائف الحواس في نقلها الأشياء فقط أما القلب هو الذي يعقل هذه الأشياء.

كما يرى ابن تيمية أيضًا أن من مهام القلب ودوره في المعرفة أنه يتلقى ما ينقل إليه عن طريق الحواس، فيقوم بعملية فرز ما ينقل إليه فما كان فيه من العلم قبله وأما غير ذلك لم يعبأ به وهذه هي طبيعته التي فطر عليها، فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب. أما الحواس هي التي من مهامها نقل ما عثرت عليه من الأشياء أو الأخبار التي يحتاج القلب لمعرفتها عن طريقها" (٣) لذلك عمد ابن تيمية إلى أن القلب أداة في غاية الأهمية لمعرفة الله إذا صار في الطريق الذي خلق من أجله وهو اهتمامه بالعلم، وعلاقته بربه والانشغال به، وهذا كله كأنه استقى ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم {إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله}. (٤) أما إذا حاد عن الطريق الذي هيئ من أجله فوقع في الباطل وانصرف عن العلم سيكون هوى المرء

(١) المنهج، ص٣٠٨.
(٢) المنطق، ص٣٠٩.
(٣) المنطق ص٣١٠- ٣١١.
(٤) البخاري ، رقم ١٥٩٩.

في ذلك هو سيده فيقع المرء في الضلال والجهل بعيدًا عن معرفة الحق. وقد ذم الله أصحاب هذا الطريق { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ}(١).

وعلى ذلك يرى الباحث أن ابن تيمية كان يقف على مسافة واحدة بين جميع الوسائل التي يستطيع الإنسان الوصول بها إلى المعرفة، وبذلك وجدنا ابن تيمية ليس مع الاتجاه الذي يعتمد على وسيلة واحدة دون الوسائل إنما مع الاتجاه الذي يتجه إلى تعدد وسائل المعرفة الأخرى، وبهذا يكون الرجل بعيدًا كل البعد عن كل ما نسب إليه أنه نصيًا فقط بمعنى أنه لا يرى وجودًا معرفيًا إلا للنصوص الدينية فقط وينكر جميع الوسائل الأخرى الموصلة إلى المعرفة وهذا غير صحيح والدليل على ذلك أننا وجدناه في الفصول السابقة أنه اهتم بالعقل كاهتمامه بالنص سواء بسواء، والآن نجده يشيد بالمعرفة القلبية وبذلك يتضح لنا عدم تعصبه لوسيلة على حساب الوسائل الأخرى كما حاول بعض خصومه أن يصنفه أنه نصي وهذا تصنيف لا إنصاف فيه.

فالرجل من وجهة نظر الباحث يعد من الفلاسفة الذين يتمسكون بأحكام الدين، فكل بحث عنده لم يعارض نصوص الدين فهو مسموح به ولا بأس مادام أنه يعود على المجتمع بالنفعية، ولاشك أنه عالم وفقيه منفتح.

وخلاصة هذا المبحث هو تعدد الاتجاهات حول دور القلب في المعرفة بين مهمل لأي دور في حصول المعرفة عن طريق القلب، ولا يرون أي دور في حصول المعرفة إلا دور العقل فحسب فنجد في هذا الاتجاه الفارابي الذي يرى أن حصول المعرفة لا تتسم إلا بالتشارك بين قوة الحاسة وقوة المتخيلة والقوة العاقلة وعلى ذلك لا يهتم الفارابي بالقلب ودوره في حصول المعرفة فلا تتم المعرفة لديه عن طريق العقل والحس فقط.

بينما نجد في نفس هذا الاتجاه ابن باجة الذي كان لا يثق إلا في العقل للوصول إلى معرفة يقينية ولا يصل إلى هذه المعرفة الصحيحة إلا الشخص المتوحد.

وعلى ذلك يرى الباحث أن كلاً من الفارابي وابن باجة قد جانب الصواب بعدم تبينهم دور القلب في حصول المعرفة، ويكون هذا على غير ما أشار إليه الإسلام، فالإسلام يعزز من

(١) القصص آية ٥٠.

دور القلب في المعرفة بقوله تعالى { لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} (١) بل يعزز الطب المعاصر أيضًا من دور القلب في حصول المعرفة، فيرون أن القلب له دور كبير فعال في عملية الإدراك والفهم وفقه ما حولنا من الأشياء، وهذا يعني دور القلب الكبير والفعال في الوصول إلى المعرفة، وهذا ما أجراه الباحثانRollinmccraty و، Mik Atkinson في المؤتمر السنوي عام ١٩٩٩م، حيث جاءت نتائج البحث أنه ثمة علاقة قوية كبيرة بين القلب وعملية الإدراك، وهذا ما أثبته الباحثان من خلال قياس النشاط الكهرطيسي للقلب والدماغ أثناء عملية الفهم، بمعنى أن الإنسان كلما يحاول فهم ظاهرة ما وجد أن عملية الإدراك تتناسب مع أداء القلب، وكلما كان أداء القلب أقل كان الإدراك أقل. (٢)

بينما يرى الاتجاه الثاني أهمية ودور القلب في حصول المعرفة فنجد أن الكندي اهتم بدور القلب في المعرفة إلى جانب العقل والحس، فدور القلب عند الكندي وهو الطريق الثالث طريق الكشف أو الفيض الذي يشبه القلب فيه بالمرآة أن القلب إذا صدأ لم تظهر فيه الصورة.

كما نجد أن ابن تيمية يسير على نفس طريق الكندي في اهتمامه بالمعرفة القلبية حيث رأى أن دور القلب يكمن في أنه يعقل الأشياء أي أنه يتلقى ما يلقى إليه من الحواس، فيقوم بعملية التحليل والتمحيص لكل ما يلقى إليه، وكذلك رأى ابن تيمية أن من فطرة القلب السليمة أنه بطبيعته يقبل العلم، وفي النهاية نسب ابن تيمية هذا الفضل كله إلى فضل الله سبحانه وتعالى.

---

(١) الحج- ٤٦.

(٢) الإنترنت، موقع إعجاز القرآن ولسنة، علوم الطب والحياة، قلوب يعقلون بها عبد الدائم الكحيل،٢٠١٩م.

المصادر والمراجع

أولاً مصادر ابن تيمية:
١- ابن تيمية ، الرد على المنطقيين.
٢- ابن تيمية (أحمد عبد الحليم)، درء تعارض العقل والنقل.
٣- منهج ابن تيمية المعرفي.
٤- ابن تيمية مجموع الفتاوى.
٥- ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية.
٦- ابن تيمية ، بغية المرتاد.
٧- ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق د/ علي بن حسن بن ناصر، دار العاصي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط ٢، ج٤.
٨- ابن تيمية، النبوات.
ثانياً المراجع الأخرى:
١- الزريجاوي (د/ عادل زامل) نظرية المعرفة عند المسلمين ، الناشر جامعة الكوفة، ٢٠١٣م.
٢- المداعي (صالح محمد) تعريف العلم والمعرفة في صفوة مدارس الفكر الإسلامي/ أولى جامعة ناصر الأسمية، ٢٠٠٩م، ٢٨٦.
٣- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون الطابع الأميرية، القاهرة، ١٩١٣، ١٨٧.
٤- نايف بن عبد الرازق بن حمادي المصرفي، الفردية في الفلسفة البرجمانية، رسالة ماجستير، ١٤٣٢هـ.
٥- الطويل (توفيق) أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٧، ١٩٧٩م.
٦- الكردي (راجح) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، دار الفرقان، عمان ٢٠٠٣م.
٧- القصيري (داود بن محمود) مطلع خصوص الكلم في معاني نصوص الحكم ،دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٧١م.
٨- الكشخانوي (ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الله) جامع الأصول في الأولياء دار الكتب العلمية، بيروت ،٢٠٠٢م.
٩- Lacey,1990,p213، نقلا عن الترتوري (محمد عوض) نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي.
١٠- كرم (يوسف) العقل والوجود ، دار المعارف، مصر،١٩٦٤م.
١١- فلابد (د/محمد) من ماجد مفكري المسلمين الفارابي وابن سينا ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦١م.
١٢- جوابات لمسائل سئل عنها الفارابي ، ضمن كتاب فلسفيات ، تحقيق د/ جعفر ياسين، نقلاً عن المعرفة بين فلاسفة المشرق والمغرب، للدكتور الطنطاوي فراج الجالي.

١٣- التعليقات للفارابي نقلاً عن المعرفة بين فلاسفة المشرف والمغرب، للدكتور الطنطاوي فراج الجالي.
١٤- ابن باجة، رسالة اتصال العقل بالإنسان ضمن رسائل ابن باجة الإلهية ، تحقيق د/ ماجد فخري- دار النهار- بيروت ، ١٩٦٨م.
١٥- ابن باجة- تدبير المتوحد ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق د/ ماجد فخري، دار النهار- بيروت، ١٩٦٨م.
١٦- دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة د/ أبو ريده ، دار النهضة العربية ، بيروت،، ط٣، ١٩٥٤م.
١٧- الكندي (أبو يوسف)، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الفكر العربي.
١٨- الأهواني (د/ أحمد فؤاد) الكندي فيلسوف العرب، سلسلة إعلام العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
١٩- الإنترنت، موقع إعجاز القرآن ولسنة، علوم الطب والحياة، قلوب يعقلون بها عبد الدائم الكحيل،٢٠١٩م.